



كوابيس الغربية

ربيع زعيمية - الجزائر

ما أقول له بالإنكليزية، ومن ثم سأكلمه بالإشارات مجددا، لقد نسيت دليل المشتريات بالإنكليزية حتى إني لم أطلب من أحد طلبتي اليابانيين كتابة مشترياتي المعتادة الأسبوعية، لقد نفذت موادي التموينية فجأة، وخصوصا في هذا الجو القارس البرودة، والذي لم أطمئن له مطلقا، لقد اهتزت الأرض اهتزازا خفيفا تحت قدمي، ولكن لم أبال، فأرض هذا البلد دائمة الاهتزاز وكأنها فوق تتين يتموج باستمرار، كما يبدو ذلك في مهرجاناتهم السنوية الراسخة في تقاليدهم الشعبية.

حدثت عدة اهتزازات قبل هذا، ولم تلق لدى الناس هنا أي اهتمام، فقد تعودوا عليها، أما أنا فكنت أول الأمر أرتعب كثيرا، ثم هدأ روعي بالتعود، ولكن هذه المرة أحسست بمخاوف كبيرة، فسارعت لقضاء حاجتي من مشتريات متنوعة والعودة لمنزلي بسرعة..

أثناء حديثي مع البائع وسعيي الحثيث لإفهامه بمرادي زلزلت الأرض من تحتي زلزالا عنيفا، وتساقطت أرفف المتجر بما تحمله من بضائع، وانحرفت مع موجة

المتحف، والهاتف النقال،... وآه و آه من اللغة اليابانية، وما بذلته من جهد لتعلمها، ولكن حتى بعد قضائي سنة كاملة أجدني لا أزال ذا ثقافة محدودة لا تكاد تتعدى عبارات التحية و الاحترام، وأضطرني في أغلب الأحيان لملاء الفراغ وإصلاح الاعوجاج باللغة الإنجليزية، و بالكثرة المواقف التي أوقعني فيها يابانيتي المكسرة، لقد مللت من تعقيد رموزها و كثرتها، كم اشتقت للغة العربية ولبساطتها وجمال لفظها ورونق خطها!!

وبالرغم من وجود مسجد بمنطقتنا إلا أنه صغير وأغلب المسلمين يابانيون أو أندونيسيون أو باكستانيون... فلا وجود للعرب إلا نادرا، ولقد ملكت خصوصا من عدم قدرتي على احتمال برد شمال اليابان، فقد كنت أقطن في جزيرة هوكايدو الشمالية، لقد كنت أقرب للقطب المتجمد الشمالي، وكانت الرياح الباردة والأعاصير الثلجية تهب باستمرار وخصوصا في فصل الشتاء...

أنا الآن في طريقي إلى المتجر ولا أدري كيف أتفاهم مجددا مع ذلك البائع العجوز، إنه لا يفهم

لقد كان يوما هادئا وجميلا، استيقظت صباحا باكرا، كنت أنوي التوجه للمتجر للتسوق، بعدما فرغت الثلاجة منذ البارحة فقد تناولت آخر علية سمك مجفف وآخر قارورة عصير حينها، وبذا فأنا لن أتناول فطوري هذا الصباح بالمنزل، آه، لو كانت لي أسرة، على الأقل كانت ستذكرني بمواعيد التسوق وما ينقص البيت من مواد تموينية، على كل حال فأنا في انتظار فرصة ما للرجوع لبلادي والزواج هناك، فأنا منذ مدة وأنا أشتغل - هنا باليابان - أستاذاً جامعياً بمعهد الدراسات الشرقية.

ولقد استفدت كثيرا من هذا البلد الجميل ذي التقاليد الراسخة والهمة العالية، على كل ما عانيت أول الأمر من وجبات غذائية غريبة، تبدأ من أدنى السلم الغذائي كالحشرات والزواحف إلى أعلاه كالحياتان، ومن تلك الأعواد المستعملة للأكل، وأكثر ما أتعبني هو التقنية العالية المتواجدة عند كل زاوية وفي كل جيب، والتي تبدأ من جهاز التلفاز وحتى الموزع الآلي للنقود وباب المصعد وكمبيوتر

عديد من المنازل من شدة
الزلازل، ودوي الانفجارات
في كل مكان، لقد تسرب
الغاز، وبدأت أعمدة الإنارة
في التساقط مولدة شرارا
عظيما ..

لقد فقدت توازني، وازداد
جزعي لحد لم أكن عليه أبدا
في حياتي، هل سأنجو؟
هل سأعود لوطني وأرى
أهلي؟ أريهم صوري في
الملابس اليابانية! وأعطهم
أعواد الأكل، وأعلمهم
طريقة استعمالها، أخبرهم
بالمهرجانات والحفلات
والتقاليد الجميلة التي
تزيناها! أخبرهم بمدى شوقي
إليهم! أخبرهم بأنني لن أغادر

وطني ولن أغادرهم مجددا!؟
هنا أحسست بيد ترجمني وبصوت
ناعم يهز أذني كموسيقى يابانية
هادئة وجميلة.. انهض يا سيدي..
لقد وصلنا وسنحط بعد قليل ،
لذا استعد .. أطللت برأسي من
النافذة، فأحسست كأنني سندباد
القصص الخيالية عاد من جديد
لبغداد الحلم والأشواق بعد سنين
البعد والفراق ■



أهلي؟ : ألن يصلي علي أحد ؟
أموت هنا بهذه الطريقة، اللهم
رحمتك، اللهم غوثك.. لقد علا
صراخ الناس بالخارج وكأن كلا
منهم يصيح: نفسي.. نفسي..
تذكرت خلالها قوله تعالى: ﴿إذا
زلزلت الأرض زلزالها﴾ لقد
انشقت الأرض أخاديد عظيمة،
وبدأت تبتلع كل شيء يمر عليها:
سيارات، أناس.. لقد انهار

التساقط تلك لأرتطم بالجدار..
ويشج رأسي، وأصبحت في
هستيريا من جراء كل هذا، فقد
انشقت أرضية المتجر، والطرق
من حولنا أصبحت تتمطى وتنسحق
على ما يعتليها من سيارات، وأحيانا
تتجس بالمياه نتيجة تكسر أنابيب
الإمداد.

يا إلهي! أهى النهاية هنا في
هذه البلاد الغريبة والبعيدة عن